مجمع أورشليم

الأب نجيب ابراهيم الفرنسيسكاني

عاش بولس والكنيسة الأولى صعوبات كثيرة، ليس فقط في ما يتعلّق بمتاعب التبشير، بل أيضاً في ما يخصّ تمييز إرادة الله في حالات معيّنة. تسير الكنيسة نحو ملء الحقيقة بقوة الروح القدس. لذلك يجب عليها أن تميّز علامات الأزمنة، أي أن تفهم على ضوء الإنجيل وموهبة الروح القدس كيفيّة التصرّف في الظروف الحياتية الطارئة. هل يجب فرض الشريعة الموسوية على الوثنيين الّذين يؤمنون بيسوع المسيح؟ هل يمكن للمسيحيين من أصل يهوديّ أن يشتركوا في مآدب المسيحيين من أصل وثنيّ لا يعملون بحسب الشريعة؟

عن هذه الأمور كتب لوقا في اعمال الرسل وبولس في رسائله، خاصّة الرسالة إلى أهل غلاطية. وفي هذه الاسفار المقدّسة نجد تعليماً أساسيّا ليس فقط عن الحالة الخاصة في ذلك الوقت، بل عن كيفيّة التمييز لفهم الإنجيل وتفسيره في مثل هذه الحالات.

لا نَزالُ حتَّى هذه السَّاعَةِ أَيضًا نَجوعُ ونَعطَشُ ونَعْرَى ونُلطَمُ ونُشَرَّد... (١ كور ٤ : ١١)
لوحة تمثّل القديس بولس وفيلمون للفنان سيزار فراكانزانو (القرن ١٧)

مشكلة في انطاكية (لوقا ١٥ : ١ – ٤)

بعد انتهاء الرحلة الرسولية الأولى أقام الرسولان بولس وبرنابا مدّة غير قليلة في انطاكية. في هذه الفترة الزمنية حصلت مشكلة في كنيسة انطاكية في ما يخصّ كيفية التعامل مع الوثنيين الّذين قبلوا الإنجيل. وكان إقبال هؤلاء على الإيمان بالمسيح قد تمّ بنجاح في انطاكية. كذلك الأمر كانت خبرة الرسولين بولس وبرنابا مثمرة بين الوثنيّين في رسالتهم الأخيرة في

قبرس وفي مدن الاناضول، حتى انّهما اعتبرا الأمر علامة على مخطط الله الخلاصيّ، الّذي «فتح باب الإيمان للوثنيّين».

طرح الدخول الكثيف للوثنيّين تساؤلات عن حقيقة الكنيسة. هل يمكن أن تكون الكنيسة وارثة حقّاً لمواعيد الله لشعب العهد القديم عندما تصبح أكثريّة أعضائها من الوثنيّين المرتدّين؟ ألا يجب على هؤلاء أن يدخلوا في عداد شعب العهد؟

أثار المشكلة بعض الإخوة الآتين من أورشليم. يختصر كاتب اعمال الرسل الموضوع بقول هؤلاء: «إذا لم تَختَتِنوا على سُنَّةِ موسى، لا تَستَطيعونَ أَن تَنالوا الخَلاص» (اعمال ١٥: ١). يبدو أنّ هؤلاء الإخوة هم المسيحيّون من اصل يهودي فلسطيني الّذين بقوا في المدينة المقدّسة بعد الاضطهاد الذي حصل على أثر استشهاد اسطفانوس.

إذن على المهتدين أن يقبلوا الختان ومتطلّبات الشريعة لقبول الخلاص. ذلك أنّ وجود مسيحيين بدون ختان وشريعة يجعل من التعايش مع المحافظين على الشريعة أمراً صعباً. فلا يجوز خلق كنيستين، واحدة للمسيحيين من اصل وثني وأخرى لليهود المسيحيين. يبدو وكأنّ الأمر لا يعنينا اليوم، ولكن المسألة لم تكن بهذه السهولة بالنسبة للكنيسة الأولى التي كانت تعلم جيّداً أنّ يسوع حقّق كلّ مواعيد العهد القديم.

أمام هذه المشكلة انقسمت كنيسة انطاكية إلى فريقين، فريق اليهود المسيحيين من جهة وفريق متعاطف مع بولس وبرنابا من جهة أخرى. فاتّفق الإخوة على إرسال بعثة برئاسة بولس وبرنابا إلى كنيسة أورشليم حيث «الرسل والشيوخ» للنظر في هذا الخلاف. وكان على الرسل سلوك الطريق عبر فينيقيا والسّامرة، فكانوا يزورون الكنائس ويفرّحون الإخوة بخبر اهتداء الوثنيّين.

مجمع أورشليم (اعمال ١٥: ٥ - ٣٠)

استقبلت الكنيسة الأورشليمية البعثة الإنطاكية بقيادة بولس وبرنابا، اللّذين أخبرا الجماعة فيها عن عمل الله في رسالتهم بين الوثنيّين. يسلّط كاتب اعمال الرسل الضوء على إرادة الله في الرسالة، وهدفه توجيه القارئ إلى ما سوف يؤول إليه اجتماع الكنيسة للبحث عمّا يجب القيام به إزاء مسألة دخول الوثنيّين إلى الكنيسة.

في الإجتماع طرح للآراء المختلفة، لذلك يبدأ الكاتب بعرض رأي المسيحيين الّذين كانوا على مذهب الفريسيّين ثم آمنوا: «يَجِبُ خَتنُ الوَثَنِيِّينَ وتَوصِيَتُهم بِالحِفاظِ على شريعةِ موسى» (١٥: ٥).

بعد جدال طويل في اجتماع الرسل والشيوخ قام بطرس وقال للجماعة: « وبَعدَ جدالٍ طويل قامَ بُطرُسُ وقالَ لَهم: «أَيُّها الإِخوَة، تَعلَمونَ أَنَّ اللهَ اختارَ عِندكُم مُنذُ الأَيَّام الأُولى أَن يَسمَعَ الوَثَنيُّونَ مِن فَمي كَلِمَةَ البِشَارَة وُيؤمِنوا. واللهُ العَليمُ بما في القُلوب قد شَهِدَ لَهم فوَهَبَ لَهُمُ الرُّوحَ القُدُس كما وَهَبَه لَنا، فلَم يُفَرِّقْ بَينَنا وبَينَهم في شَيء، وقَد طَهَّرَ قُلوبَهم بالإِيمان. فلماذا تُجَرِّبونَ اللهَ الآنَ بأَن تَجعَلوا على أَعناق التَّلاميذ نيرًا لم يَقْوَ آباؤُنا ولا نَحنُ قَوينا على حَمله؟ فنَحنُ نُؤمِنُ أَنَّنا بنعمة الرَّبِّ يسوعَ نَنالُ الخَلاصَ كما يَنالُ الخَلاصَ هؤُلاءِ أَيضًا» (١٥: ٧ – ١١).

« تعلمون أنّ الله... » بهذه العبارة يؤكّد بطرس، رئيس الإخوة، أنّ اهتداء قورنيليوس وعائلته هو عمل من عند الله، فيشكّل بذلك مثلاً أصيلاً وحدثاً مؤسّساً لنهج الكنيسة في التعامل مع الوثنيّي المؤمنين بيسوع المسيح. فالله وهبهم الروح القدس ولم يفرّق بين اليهود والوثنيين في شيء، إذ طهّر قلوبهم بالإيمان. لذلك لا يجب فرض الشريعة الموسوية على هؤلاء لأنّ الجميع ينال الخلاص بنعمة الرّبّ يسوع. وكان كلام بطرس كافياً لإنهاء الجدال بين الفريقين. فسكت الجميع وأخذوا يستمعون إلى خبرة برنابا وبولس في تبشير الوثنيين، للتأكّيد على صحّة ما قاله بطرس في خطبته.

في كلام بطرس القرار النهائي للمجمع في ما يخصّ قبول الوثنيين. ولا يختلف يعقوب مع مبدأ الحريّة من الشريعة إذ يقول : «ولذلك فإنّي أرى ألّا يُضيّقَ على الّذين يهتدون إلى الله من الوثنيّين» (١٥: ١٩). ولكن بما أنّه الممثّل عن شيوخ كنيسة القدس طلب العمل بأربع وصايا تسمح التعايش بين الجماعتين. إنّها شرائع معروفة لدى الجميع، لأنّ موسى يُقرأ

فأُناشِدُكم إِذًا، أَنا السَّجينَ في الرَّبّ، أَن تَسيروا سيرةً تَليقُ بِالدَّعوَةِ الَّتي دُعيتُم إِلَيها
(أفسس ٤ : ١)
القديس بولس يزور
القديس بطرس في السجن
للفنان فيليبينو ليبي (١٨٨٤-١٨٨٥)

في المجامع كلّ سبت وله دعاة في كلّ مدينة. إذن هذه هي التوصيّات التي يجب على الجميع حفظها: «أَن يَجتَنبوا نَجاسَةَ الأَصنام والفَحْشاءَ والمَيتَةَ والدَّم» (١٥: ٢٠). النجاسة هي لحوم الذبائح الوثنية (راجع ١قورنتس ٨ – ١٠)، والميتة والدّم هي لحوم الحيوانات التي لم يسل دمها لذلك كانت تُعتبر نجسة بحسب شريعة موسى (احبار ١٧: ١٠ – ١٦). يبدو أنّ الفحشاء هي القرانات غير الشرعيّة في نظر الشريعة (راجع احبار ١٨: ٦ – ١٨). كانت كلّ هذه التحريمات مطلوبة ليس فقط من اليهود بل من الوثنيّين أيضاً حسب أدب الربانيين، إذ نجدها كما هي في الوصايا التي أتت قبل الشريعة، وصايا نوح السّبع (تكوين ٩: ٣ – ٧).

اختار الرسل والشيوخ في كنيسة القدس شخصين موفدين من قبلهم ليذهبوا مع بولس وبرنابا وسلّموهم رسالة إلى كنيسة أنطاكية، للتنبّيه على أنّ الأشخاص الّذين بعثوا القلق بينهم ما كانوا مكلّفين من قبلهم. ولكن يحسن المحافظة على ما لا بدّ منه من أجل العيش المشترك بين الجماعتين: «مِن إِخوَتكُمُ الرُّسُل والشُّيوخ إِلى الإِخوَةِ المُهتَدينَ مِنَ الوَثَنِيِّينَ في أَنطاكِيَة وسورية وقيليقية، سَلام. بَلَغَنا أَنَّ أُناسًا مِنَّا أَتَوكم فأَلقَوا بينكمُ الاضطِرابَ بكَلامِهم وبَعَثوا القَلَقَ في نُفوسِكم، على غَيرِ تَوكيلٍ مِنَّا. فحَسُنَ لَدَينا بالإِجماعِ أَن نَختارَ رَجُلَينِ نوفِدهُما إِلَيكُم مع الحَبيبَينِ بَرْنابا وبولُس، وهما رَجُلانِ بَذَلا حَياتَهما مِن أَجلِ اسم ربِّنا يسوعَ المسيح. فأَرسَلْنا يَهوذا وسِيلا لِيُبَلِّغاكُمُ الأُمورَ نَفْسَها مُشافَهَةً. فقد حَسُنَ لَدى الرُّوحِ القُدُسِ ولَدَينا أَلاَّ يُلْقى علَيكم مِنَ الأَعباءِ سِوى ما لا بُدَّ مِنه، وهُوَ اجتِنابُ ذَبائحِ الأَصنامِ والدَّمِ والمَيتَةِ والفَحْشاء. فإِذا احتَرَستُم مِنها تُحسِنونَ عَمَلاً. عافاكُمُ الله».

قبل لائحة «الأعباء» التي لا بدّ منها، ترد العبارة الرسميّة المعبّرة عن سلطة الرسل: «فقد حسن لدى الروح القدس ولدينا». كما ترد نفس الممنوعات في اعمال ٢١: ٢٥ حيث يذكّر يعقوب بولس الرسول بالرسالة الصادرة عن الكنيسة في أورشليم وما يجب على الوثنيين الّذين آمنوا بالمسيح اتّباعه من محرّمات الشريعة.

حمل الوفد الرسالة إلى كنيسة أنطاكية. ولمّا وصلوا، جمعوا الإخوة وقرأوا الرسالة وعمّ الفرح بينهم. وكان مندوبا كنيسة أورشليم «نبيّين»، أي لهما موهبة خاصة للتعليم، فوعظا الإخوة بكلام كثير لتشديد عزائمهم. بذلك نرى أهميّة الوعظ والتعليم في الكنيسة، إذ بدونه وهن وتراجع في الإيمان.

بعد انتهاء المهمّة صرف الإخوة يهوذا وسيلا بسلام إلى الّذين أرسلوهما. «أَمَّا بولُسُ وبَرْنابا فأَقاما في أَنطاكِية، يُعَلِّمانِ ويُبَشِّران بِكَلِمَةِ الرَّبّ ومعهُما آخَرونَ كَثيرون» (١٥: ٣٥).

هكذا انتهت الأزمة التي بدأت في كنيسة أنطاكية ولم تجد لها حلاً إلاّ بمعونة وسلطة كنيسة أورشليم حيث بطرس والرسل. لم يُغلق البابُ أمام دخول الوثنيّين إلى الكنيسة، بل فُتح على مصراعيه، إذ وحده الإيمان بيسوع يعطي الخلاص، وما القوانين الأخرى سوى تعبير عن وصيّة المحبّة التي تحتمل الضعيف. سوف يقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس: «المعرفة تنفخ، أمّا المحبّة فتبني» (٨ : ١). لن تتبع الكنيسة فيما بعد من المحرّمات الصادرة في قرار مجمع أورشليم، سوى ما يخصّ «الفحشاء»، لأنّ لها ما يقابلها في إنجيل يسوع المسيح. وما الحفاظ على المحرّمات من الطعام سوى عمل بالمحبّة الأخويّة.

يعالج بولس هذا الموضوع في رسائله، ولكنّه لا يذكر «قرار يعقوب» بعد مجمع أورشليم، ممّا يتطلّب قراءة النصوص الخاصّة بلقاء أورشليم وبمشكلة كنيسة انطاكية في رسائل بولس.

مجمع أورشليم في رسائل بولس

يخبر بولس الرسول عن لقاء تمّ في أورشليم يقابل ما رواه لوقا في اعمال الرسل ١٥. في الرسالة إلى أهل غلاطية ٢ : ١ – ١٠، يقول بولس أنّه صعد ثانية إلى أورشليم، وذلك بعد أربع عشرة سنة. يبدو أنّه يعني بعد زيارته الأولى لبطرس في المدينة المقدّسة. ذهب مع برنابا، منوّها عن اختياره استصحاب طيطس (٢ : ١). طيطس هو مسيحيّ من أصل وثني، لذلك اختاره بولس للذهاب معه من أجل التأكيد على «حريّة الإنجيل». من يقبل الإنجيل هو متحرّر من نير الشريعة والختان.

«وكان صعودي إليها بوحي» (٢ : ٢)، يقول بولس. هذا يعني أنّه اتّخذ القرار في جوّ من التأمّل والصلاة. فقط في الصلاة يمكن أن يتوصّل المرء إلى معرفة إرادة الله، الّذي يهب الخلاص بيسوع المسيح إلى كلّ البشر.

«وعَرَضتُ علَيهِم البِشارةَ الَّتي أُعلِنُهاَ بَينَ الوَثنِيِّين، وعَرَضتُها في اجتماعٍ خاصٍّ على الأَعْيان، مَخافَةَ أَن أَسْعَى أَو أَكونَ قد سَعَيتُ عَبَثًا.» (٢ : ٢). في هذه الآية يوضّح بولس هدف الزيارة: عرض بولس على الأعيان، والمقصود هنا الرسل، الإنجيل الّذي كان يبشّر به، والّذي قبله أهل غلاطية. والغرض من العرض إظهار حقيقة الإنجيل الّذي آمنوا به في غلاطية. ذلك أنّ هناك خطر الرجوع إلى أعمال الشريعة، وكأنّ الإيمان بيسوع لا يكفي من أجل نيل الخلاص.

قبل إعطاء نتيجة اللقاء، يذكر بولس حالة طيطس، المسيحيّ من أصل وثني، كبرهان على حقيقة الإنجيل: «على أَنَّ رَفيقي طيطُسَ نَفْسَه، وهو يُونانِيّ، لم يُلزَم الخِتان، وإِلاَّ لَكانَ

ذَلك بِسَبَبِ الإِخوَةِ الكَذَّابينَ المُتَطَفِّلينَ الَّذينَ دَسُّوا أَنفُسَهم بَيننا لِيتجَسَّسوا حُرِّيَّتَنا الَّتي نَحنُ عَلَيها في المسيحِ يسوع فيَستَعبِدونا، ولَم نُذعِنْ لَهم خاضِعينَ ولَو حِيناً لِتَبْقى لَكم حَقيقةُ البِشارة (٢ : ٣ – ٥).

أراد بولس أن يجعل من حالة طيطس عبرة وحجّة بيّنة على أنّ المؤمنين من أصل وثني هم أحرار من نير الشريعة. لم تفرض الكنيسة الختان عليه رغم الضغوط التي مارسها الإخوة الكذّابون المتطفّلون، أي المسيحيون المتهوّدون، لفرض الختان على طيطس. لم يذعن بولس لهم حتى في حالة طيطس، لأنّه يريد المحافظة على حقيقة الإنجيل التي تمنح الحريّة من نير الشريعة، من خلال الإيمان بيسوع المسيح، الّذي جعله الله مخلّصاً وحيداً لكلّ البشر بدون تمييز.

يتابع بولس روايته عن لقاء أورشليم معلناً ما هو عزيز على قلبه، أي الاعتراف بشرعيّة رسالته لدى الوثنيين ونهجه في العمل الرسوليّ. يقدّم الموضوع موضّحاً أولاً أنّ الكنيسة لم تفرض أيّ شيء آخر عليه من اعمال الشريعة، وثانياً، الاتفاق بين الرسل على توزيع المهمّات الرسوليّة: «أَمَّا الأَعْيان ـ ولا يَهُمُّني ما كانَ شَأنُهم: إِنَّ الله لا يُحابي أَحدًا مِنَ النَّاس ـ فإِنَّ الأَعْيانَ لم يَفرِضوا عَليَّ شَيئًا آخَر، بل رأَوا أَنَّه عُهِدَ إِليَّ في تَبْشيرِ القُلْفِ كما عُهِدَ إِلى بُطرُسَ في تَبْشيرِ المَختونين، لأَنَّ الَّذي أَيَّدَ بُطرُسَ لِلرِّسالَةِ لَدى المختونين أَيَّدَني أَنا أَيضاً في أَمرِ الوَثنِيِّين. ولَمَّا عَرَفَ يَعْقوبُ وصَخْرٌ ويُوحنَّا، وهُم يُحسَبونَ أَعمِدَةَ الكَنيسة، ما وُهِبَ لي مِن نِعمَة، مَدُّوا إِليَّ وإِلى بَرنابا يُمنى المُشاركة، فنَذهَبُ نَحنُ إِلى الوَثنِيِّين وهم إِلى المَختونين» (٢ : ٧ – ٩).

يظهر من القراءة السطحيّة للنصّ وكأنّ بولس يقلّل من هيبة الأعيان، أي الرسل، قائلاً: «ولا يهمّني ما كان شأنهم»، ذلك أنّه يريد التشديد على أهميّة العطية الإلهية، لا على الأشخاص بحدّ ذاتهم. بولس وبطرس ويعقوب ويوحنا قبلوا الرسالة من المسيح، كلّ واحد في حقل رسوليّ مختلف. «ولما عرف يعقوب وصخر ويوحنا ما وُهب لي من نعمة – يقول بولس – مدّوا إليّ وإلى برنابا يمنى المشاركة». فالأساس هو النعمة الإلهية التي أوكلت بولس وكلّ الرسل للرسالة. عبّر الرسل عن وحدة الإيمان بالإنجيل الواحد من خلال علامة المشاركة الأخوية، مدّ اليمنى، أي المصافحة.

ينوّه بولس عن واقعيّة المشاركة الأخويّة من خلال ما طلبه الرسل منه ومن برنابا: «بِشَرطٍ واحِدٍ وهو أَن نَتذَكَّرَ الفُقَراء، وهذا ما اجتَهَدتُ أَن أَقومَ به» (٢ : ١٠). أظهر الرسل حاجة المسيحيين في أورشليم للمساعدة الماديّة، طالبين من بولس وبرنابا المساعدة. هذا ما سعى بولس من أجله في رسالته، كما يؤكّد في خاتمة الرسالة إلى أهل روما: «فقَد حَسُنَ لَدى أَهْلِ مَقْدونِيةَ وآخائِية أَن يُسعِفوا الفُقَراءَ مِنَ القِدِّيسينَ الَّذينَ في أُورَشَليم» (١٥ : ٢٦). لا يمكن

تفسير هذا الطلب وكأنّه ضريبة يجب دفعها لكنيسة القدس، مثل ضريبة الهيكل، وليست علامة خضوع لها، بل تعبير عن المشاركة الأخويّة واعتراف بدور بولس كرسول للمسيح لدى الوثنيين.

خلاف بين بولس وبطرس في انطاكية (غلاطية ٢ : ١١ – ١٤)

بعد لقائه مع رؤساء الكنيسة الأورشليمية، حيث بحث معهم بموضوع الإنجيل الّذي يبشّر به بين الوثنيين، يتابع بولس سيرته الذّاتية مخبراً كيف واجه بطرس في انطاكية. رغم أنّ سياق النصّ لا يحدّد متى حدث الخلاف في أنطاكية، يجب وضعه بعد مجمع أورشليم (٥٠ م). كلام بولس يعبّر من جهة على الوفاق التامّ بين الرسل في مجمع أورشليم ومن جهة أخرى على الخلاف الحادّ الّذي حصل في كنيسة أنطاكية. يدعو بولس بطرس باسمه الآرامي «كيفا» أي صخر، تماماً كما في رواية لقائه معه في أورشليم، ويوضّح منذ البداية موقفه من المأزق: «ولكن، لَمَّا قَدِمَ صَخْرٌ إِلى أَنْطاكِية، قاوَمتُه وَجْهًا لِوَجْهٍ لأَنَّه كانَ يَستَوجِبُ اللَّوم» (غل ٢ : ١١).

ولكن إلى أين سارت الأمور؟ بولس، من جهّته يحاول وصف الأحداث لشرح وضعه الرسوليّ للمؤمنين في غلاطية. إذ اتّهم بكونه رسولاً من الدرجة الثانية متعلّقاً بالّذين كانوا رسلاً من قبله، وبأنّ نهجه الرسوليّ بين الأمم لا يتفّق مع نهج الآتين من أورشليم. لذلك يقدّم بولس مجريات الأحداث ليثبت أنّ دعوته الرسوليّة من الله، وهذا ما اعترف به الرسل في أورشليم. كما يخبر ما جرى في انطاكية من خلاف ليوضّح شرعية مهمّته الرسولية بين الأمم.

لم يختلف بولس مع بطرس لحظة وصوله إلى انطاكية، إذ يصف ما جرى في النصّ التابع: «ذلِكَ أَنَّه، قَبْلَ أَن يَقدَمَ قَومٌ مِن عِندِ يَعْقوب، كان يُؤاكِلُ الوَثَنِيِّين. فلَمَّا قَدِموا أَخَذَ يتَوارى ويتَنحَّى خوفًا مِن أَهْلِ الخِتان، فجاراه سائِرُ اليَهودِ في رِيائِه، حتَّى إِنَّ بَرنابا انقادَ هو أَيضًا إِلى رِيائِهم. فلَمَّا رأَيتُ أَنَّهم لا يَسيرونَ سِيرةً قَويمة كما تَقْضي حَقيقة البِشارة، قُلتُ لِصَخْرٍ أَمامَ جَميعِ الإِخوَة: إِذا كُنتَ أَنتَ اليَهودِيُّ تَعيشُ عيشَةَ الوثنيَّينَ لا عيشةَ اليَهود، فكَيفَ تُلزِمُ الوَثَنِيِّينَ أَن يَسيروا سيرةَ اليَهود؟» (غل ٢ : ١٢ – ١٤). يتابع بولس خطبته عن حقيقة الإنجيل في ٢ : ١٥ – ٢١.

قلب المشكلة هو الخطر المحدق «بحقيقة الإنجيل». سوف يشرح بولس بإسهاب هذا الموضوع المتصّل بالحريّة الإنجيليّة. فالحقيقة الإنجيليّة هي البشرى السّارة بيسوع المسيح، الوسيط الوحيد للخلاص الّذي وهبه الله للّذين يقبلونه بإيمان. لذلك لا يجب أن يكون في الكنيسة

الواحدة أي تمييز بين الّذي آمنوا يهوداً كانوا أم وثنيين. بالمواجهة العلنية مع بطرس أراد الإفصاح عن خطورة الموقف، إذ بتصرّفه الحذر يظهر من جديد التمييز الّذي ألغاه الإيمان بيسوع المسيح. بطرس ابتعد عن المآدب مع الوثنيين، وما زاد الأمور تعقيداً هو انحياز برنابا أيضاً إليه، فكانت الأمور تسير نحو نظام سوف يخلق مع الوقت كنيستين، واحدة للمتهوّدين وأخرى للأمم. فالجلوس على مائدة واحدة هو علامة الشراكة العميقة التي تجمع المؤمنين بالمسيح.

لا يروي بولس ما كانت ردّة فعل بطرس، ولكن يجب التأكيد على أنّه على الأرجح قد اعترف بأنّه وضع حقيقة الإنجيل في خطر بسبب حذره المفرط. لا بدّ أنّه ذكر في المناسبة ما آلت إليه الأمور في مجمع أورشليم حيث أخبر كيف أنّ الله طهّر قلب الوثنيين عندما بشّرهم بالأنجيل ومنحهم الروح القدس بواسطة الإيمان بيسوع المسيح، وأكّد أنّه لا يجب وضع نير الشريعة على كاهل الإخوة الآتين من الأمم.

نتساءل هنا عن موقع قرار الرسل أو قرار يعقوب الّذي أخبر عنه لوقا في اعمال ١٥ والّذي لا يأتي على ذكره بولس في الرسالة إلى أهل غلاطية، رغم أنّه يتطرّق إلى نفس الأحداث؟

على الأرجح أنّ بعضهم لم يقبل تسامح بطرس في أنطاكية فأرادوا الرجوع إلى يعقوب في أورشليم. لذلك يقول بعض المفسّرين الّذين نؤيّدهم أنّ قرار الرسل أتى بعد المجمع وبعد مشكلة أنطاكية وكان موجّها بنوع خاصّ إلى كنيسة أنطاكية في سورية فقط. ولم يكن القرار مجرّد تسوية بين الجماعتين، بل يجب فهمه على ضوء ما سوف يقوله بولس في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس: «كلُّ شَيءٍ حَلال، ولكِن لَيسَ كُلُّ شَيءٍ بِنافِع. كُلُّ شَيءٍ حَلال، ولكِن لَيسَ كُلُّ شَيءٍ يَبْني. لا يَسْعَيَنَّ أَحَدٌ إلى مَنفَعَتِه، بل إلى مَنفَعَةِ غَيرِه. كُلوا مِنَ اللَّحْمِ كُلَّ ما يُباعُ في السُّوقِ ولا تَسألوا عن شَيءٍ مُراعاةً لِلضَّمير، لأَنَّ لِلرَّبِّ الأَرضَ وكُلَّ ما فيها. إِن دَعاكُم غَيرُ مُؤْمِنٍ ورَغِبتُم في تَلبِيَةِ دَعوَتِه، فكُلوا مِن كُلِّ ما يُقدَّمُ لَكم ولا تَسأَلوا عن شَيءٍ: مُراعاةً لِلضَّمير، ولكِن إِن قالَ لَكم أَحَد: هذه ذَبيحةٌ لِلآلِهَة، فلا تَأكُلوا مِنها لأَجْلِ مَن أَخبَرَكُم ومُراعاةً لِلضَّمير. ولَستُ أَعْني ضَميرَكُم، بل ضَميرَ غَيرِكُم، فلِماذا يَحكُمُ في حُرِّيَّتي ضميرٌ غَيرُ ضميري؟ فإِذا شارَكتُ في تَناوُلِ شَيءٍ شاكِرًا، فلِمَ أُلامُ فيما أَنا عَلَيه شاكِر؟ فإِذا أَكَلتُم أَو شَرِبتُم أَو مَهما فَعَلتُم،؟ فَافعَلوا كُلَّ شَيءٍ لِمَجدِ الله. لا تَكونوا عِثارًا لِليَهودِ ولا لِليُونانِيِّينَ ولا لِكنيسةِ الله، فإِنِّي أَنا أَيضًا أَجتَهِدُ في إِرضاءِ جَميعِ النَّاسِ في كُلِّ شَيء، ولا أَسْعى إِلى مَنفَعَتي، بل إِلى مَنفَعَةِ جَماعَةِ النَّاسِ لِينالوا الخَلاص» (١٠: ٢٣ – ٣٣).

خاتمة

المحبّة كمال الشريعة (روما ١٣ : ١٠) . هذه هي الخلاصة التعليميّة للحوادث التي جرت في انطاكية وفي أورشليم . فالحريّة المسيحيّة لا تسير ضدّ المحبّة الأخويّة التي تحترم الآخر . الحرّ قويّ، لذلك عليه مراعاة الضعيف .

يلقي القدّيس أغسطينوس الضوء على فضائل الرسولين فيقول مفسّرا ما جرى بينهما في أنطاكية : « نمدح على السواء حريّة بولس والتواضع المقدّس عند بطرس » .

على صعيد تاريخ الخلاص، فإنّ توصيّات مجمع أورشليم في ما يخصّ قبول الوثنيين في الكنيسة هي مبادئ أنجيليّة أساسية . لا يجب فرض الشريعة على الوثنيين الّذين يؤمنون بيسوع المسيح . والحريّة الإنجيليّة تسمح للمسيحيّ بالإشتراك في المآدب بدون خوف من مأكل نجس وطاهر لأنّ ما ينجّس الإنسان هو ما ينبع من قلبه، أي الرذائل والنوايا السيّئة (مرقس ٧) .

هذه الحريّة الإنجيليّة دفعت القدّيس فرنسيس الأسيزي على القول في القانون الّذي سنّه للإخوة الأصاغر : تأكلون مما يقدّم لكم، أي بدون التقيّد بالقوانين الرهبانيّة السابقة التي تفرض الصوم والانقطاع في أيّام كثيرة . من يريد أن يبشّر بالإنجيل عليه أن يقبل النّاس ويحبّهم ويشاركهم الطعام، مما يفسح المجال أمام أخوّة شاملة بين البشر، مبنيّة على المحبّة والمشاركة . هذا ما طُلب أيضاً من بولس في لقاء أورشليم : أن يتذكّر الفقراء .

وأخيراً نتأمّل بعمل الروح القدس الّذي يقود الكنيسة نحو ملء الحقيقة . مجمع أورشليم هو المثل الأول لحياة الكنيسة التي يقودها الروح القدس لفهم الإنجيل وتفسيره : « فقد حسن لدى الروح القدس ولدينا » (اعمال ١٥ : ٢٨) . فالرجوع إلى الكنيسة يمنح الثقة للجميع بحضور الروح القدس . في الكنيسة ومعها توصّل التلاميذ في أنطاكية وفي أورشليم إلى فهم حقيقة الإنجيل .

« إنّني أنصح، وأنبّه، وأناشد إخوتي في الرّبّ يسوع المسيح : عندما يذهبون في العالم، فليمتنعوا عن الخصام، والمشاجرة بالكلام، وإدانة الآخرين . بل فليكونوا ودعاء، ومسالمين، وبسطاء، وحلماء، ومتواضعين، وليكلّموا الجميع بصدق، كما يليق . وليتجنّبوا ركوب الخيل، ما لم تضطّرهم إلى ذلك، ضرورة بيّنة، أو مرض . وأيّ بيت دخلوا، فليقولوا أولاً : سلامٌ لهذا البيت . ووفقاً للإنجيل المقدّس، فليُسمح لهم بأن يتناولوا من جميع الأطعمة الّتي تُقدّم لهم » .
(القدّيس فرنسيس الأسيزيّ، القانون المثبّت، ٣)